مجلة جامعة جازان للعلوم الإنسانية
Jazan University Journal of Human Sciences (JUJHS)

عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكفر قبل بعثتهم (دراسة تحليلية عقدية في ضوء الأدلة الشرعية)

سلطان علي الفيفي
وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية

The Infallibility of the Prophets (Peace be upon them) Against Disbelief in Allah before their Missions, an Analytical Dogmatic Study in Light of Sharia Evidences

Sultan Ali Al Faifi
Ministry of Islamic Affairs Dawah and Guidance, Kingdom of Saudi Arabia

DOI	RECEIVED الاستلام	Edit التعديل	ACCEPTED القبول
https://doi.org/10.37575/h/edu/22002	2023/08/31	2023/11/28	2024/01/08
NO. OF PAGES عدد الصفحات	YEAR سنة العدد	VOLUME رقم المجلد	ISSUE رقم العدد
24	2024	3	12

الملخص:

يتناول البحث مسألة عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكفر قبل بعثتهم، من خلال الأدلة القرآنية الواردة فيها. ويهدف إلى تحرير القول في مسألة عصمة الأنبياء قبل بعثتهم، في ضوء النصوص الشرعية الواردة فيها، والنظر في أقوال الفرق في هذه المسألة. واتبع الباحث في دراسته المنهج التحليلي وذلك بعرض النصوص القرآنية الواردة في المسألة، ودراستها دراسة تحليلية فاحصة، في ضوء فهم أهل العلم من المفسرين والمحققين لها. وتتكون الدراسة من ثلاثة مباحث: المبحث الأول يشتمل على الآيات القرآنية التي قد تدل على حال بعض الأنبياء قبل بعثتهم. والمبحث الثاني يشتمل على أقوال الفرق في عصمة الأنبياء من الكفر قبل بعثتهم. والمبحث الثالث فيه بيان حال نبينا صلى الله عليه وسلم قبل البعثة. ومن أبرز نتائج البحث:

- مسألة عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكفر قبل الرسالة ليست من المسائل المجمع عليها، بل قد اختلف الناس فيها، وكذلك أهل السنة والجماعة.
- القول بأن بعض الأنبياء كان على ملة قومه قبل الرسالة، هو الذي يدل عليه ظاهر القرآن، ولا يعارض هذا عصمتهم بعد إرسالهم، وليس في ذلك تنفير عنهم.

الكلمات المفتاحية: العصمة، الأنبياء، الكفر.

Abstract:

The study addresses the infallibility of the prophets (peace be upon them) against disbelief in Allah before their missions based on the Quranic evidence. The research aims to study the views regarding the infallibility of the prophets before their missions in light of the Sharia evidences in this regard, and examine the opinions of different sects on this issue. In his study, the researcher adopts the analytical approach by presenting the Quranic texts related to this issue and studying them thoroughly in the light of the understanding of commentators of the Quran and narration verifiers. The research consists of three sections: The first section includes the Quranic verses that indicate the state of some prophets before their mission. The second section presents the opinions of different sects regarding the infallibility of the prophets against disbelief in Allah before their missions. The third section discusses the state of our prophet (peace and blessings of Allah be upon him) before his mission. The key findings include:

- The issue of infallibility of the prophets (peace be upon them) against disbelief in Allah before their missions is not a consensual issue, people and even the followers of the Sunni sect have different opinions on this matter.
- The Quranic verses clearly indicate that some Prophets followed the religion of their people before their mission. This does not contradict their infallibility after their missions, and it does not diminish their status.

Keywords: Infallibility, Prophets, Disbelief in Allah.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله، الإله الحق المبين، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، وخيرته من خلقه أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الغر الميامين. أما بعد:

فإن الله تعالى قد أرسل رسله عليهم السلام للناس تترى؛ رحمة بهم، ولئلا يكون لهم حجة على الله تعالى بعد الرسل.

وقد أيد الله تعالى أنبياءه بالآيات البينات، الدالة على صدقهم، وكان لنبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك أعلاه، وأشرفه؛ فقد آتاه الله تعالى القرآن، كلام الله عز وجل، المعجزة الباقية إلى أن يشاء الله تعالى.

وقد تضمن هذا الكتاب العزيز، قصصا لمن مضى، من أنبياء الله تعالى وأقوامهم، وأخبارا لما سيأتي في قادم الأيام، كل ذلك بالحق قال تعالى﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود: ١٢٠]

وقد تضمنت بعض الآيات القرآنية، ما قد يدل على بيان حال بعض الأنبياء عليهم السلام قبل بعثتهم، من أنهم كانوا على ملة قومهم. فأحببت أن أبحث هذه المسألة مستعينا فيها بالله تعالى. وقد جعلت عنوانه: عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكفر قبل بعثتهم دراسة تحليلية في ضوء الأدلة الشرعية.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في دلالة بعض الآيات القرآنية على حال بعض الأنبياء عليهم السلام قبل بعثتهم، دالة بظاهرها على أنهم كانوا على ملة أقوامهم قبل بعثتهم، وبيان مسالك العلماء تجاه هذا الظاهر.

حدود البحث:

دراسة هذا الموضوع محدودة بالآيات القرآنية المتعلقة بهذه المسألة، وهي ثلاث آيات: الآية رقم 88 من سورة الأعراف، والآية رقم 13 من سورة إبراهيم، والآية رقم 76 من سورة الأنعام، وبيان أقوال المفسرين فيها، ثم أتبع ذلك ببيان أقوال الفرق في هذه المسألة.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى تحرير القول في مسألة عصمة الأنبياء عليهم السلام قبل بعثهم، في ضوء النصوص الشرعية الواردة فيها.

منهج البحث:

المنهج التحليلي النقدي هو المنهج الذي يقوم عليه البحث، وذلك بعرض النصوص القرآنية الواردة في المسألة، ودراستها دراسة تحليلية فاحصة، في ضوء فهم أهل العلم من المفسرين والمحققين لها، ونقد ما يحتاج لنقده من مآخذ الفرق الواردة في البحث.

إجراءات البحث:

- الرجوع للمصادر الأصلية دون الثانوية إلا في حال التعذر.
- عزو الآيات القرآنية.
- عزو الأحاديث النبوية لمصادرها، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كانت في غيرهما بينت ذلك، مع ذكر حكم بعض أهل العلم عليها.

الدراسات السابقة:

لم أقف –حسب اطلاعي– على من خص هذه المسألة ببحث مستقل، وإنما الكلام فيها قليل، منثور في كتب

ومقالات، أو ضمن مسألة العصمة بعد البعثة. ومن هذه الدراسات:

- عصمة الأنبياء بين المسلمين وأهل الكتاب: للدكتور أحمد العبد اللطيف، وهو رسالة ماجستير نوقشت في جامعة أم القرى سنة ١٤٠٢هـ، وباستعراضها تبين أنها متعلقة بمطلق المعاصي –كفر أو كبيرة أو صغيرة– سواء قبل النبوة أو بعدها، فجاءت عامة في المعصية وزمنها، ولذا كانت الأقوال والأدلة فيها عامة لعموم موضوعها. بينما بحثي خاص من جهة المعصية، فهو متعلق بالكفر، وخاص من جهة الزمن، فهو متعلق بما قبل النبوة، فعالج هذه المسألة بتركيز واضح.
- عصمة الأنبياء والرسل قبل النبوة: للدكتور ذياب العلوي، وهو بحث منشور في مجلة الدراسات العقدية، العدد (٢٠). وبالوقوف عليه تبين أنه عام أيضا من جهة المعاصي، فلم يركز البحث حول مسألة الكفر قبل النبوة، ولذا جاءت الأقوال فيه والأدلة عامة عن مطلق المعاصي قبل النبوة، إضافة إلى أنه لم يبين موقف الطوائف بوضوح من مسألة الكفر قبل النبوة.

خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة، و تمهيد، وثلاثة مباحث، فخاتمة.

أما التمهيد فقد ضمنته بيان مكانة الأنبياء عليهم السلام في الدين، ومفهوم العصمة.

والمبحث الأول بعنوان: المواضع في القرآن التي قد تدل على حال بعض الأنبياء قبل بعثتهم.

والمبحث الثاني بعنوان: أقوال الفرق في عصمة الأنبياء من الكفر قبل بعثتهم.

والمبحث الثالث بعنوان: حال نبينا صلى الله عليه وسلم قبل البعثة.

والله أسأل أن يلهمنا رشدنا، ويسددنا في الأقوال والأفعال.

التمهيد

من رحمة الله بعباده أن أرسل لهم رسلا من أنفسهم؛ ليتم بذلك عليهم الحجة قال تعالى﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥ ﴾ [النساء: ١٦٥] .

ومهمة الأنبياء عليهم السلام أعظم مهمة؛ وذلك لأنهم يبلغون عن الله تعالى مراده، شرعه وأمره، ليحقق العباد من ذلك الحكمة التي خلقوا من أجلها قَالَتَعَالَىٰ:﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

فاصطفى الله تعالى لهذه المهمة الخلّص من العباد، الذين تحلوا بأعظم درجات الصدق ومكارم الأخلاق، فلم يأتوا فاحشة قط، ولا كذبوا قط، ليكونوا أهلا لحمل هذه الرسالة الربانية، وإيصالها للناس.

ولذلك فضلهم الله تعالى على الخلق، فمنزلة كل صالح دون منزلة كل نبي ورسول، ولذا قال تعالى بعد أن ذكر بعض أنبيائه ورسله قَالَتَعَالَىٰ:﴿ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦ ﴾ الأنعام: ٨٦، قال ابن جرير رحمه الله في تفسير هذه الآية:" وفضلنا جميعهم (على العالمين) يعني: عالم أزمانهم"[(١)]، وقد نقل الاتفاق على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقال:" والأنبياء أفضل

(١) جامع البيان (٩/٣٨٥).

الخلق باتفاق المسلمين، وبعدهم الصديقون والشهداء والصالحون"[٢].

ولهذا كانت هذه المنزلة العظيمة اصطفاء من الله عز وجل، يصطفي لها من يشاء من عباده ليكرمه بها، قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ ﴾ الحج: ٧٥، فهم صفوة الناس الذين اختارهم الله تعالى لرسالاته[٣]، ولذلك قال تعالى ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤﴾ الأنعام: ١٢٤

يقول ابن جرير:" يقول جل ثناؤه: فأنا أعلم بمواضع رسالاتي ومن هو لها أهل، فليس لكم أيها المشركون أن تتخيروا ذلك عليَّ أنتم؛ لأن تخير الرسول إلى المرسِلِ دون المرسَلِ إليه، والله أعلم إذا أرسل رسالة بموضع رسالاته"[٤].

فمنزلة الرسالة والنبوة اصطفاء واجتباء من الله تعالى عن علم منه جل في علاه، ويكفي هذا لبيان شرف الرسل عليهم السلام ومكانتهم، يقول ابن القيم رحمه الله: "ويكفي فى فضلهم وشرفهم أن الله سبحانه وتعالى اختصهم بوحيه، وجعلهم أمناءَ على رسالته وواسطة بينه وبين عباده، وخصهم بأنواع كراماته: فمنهم من اتخذه خليلاً، ومنهم من كلمه تكليماً، ومنهم من رفعه مكاناً علياً على سائرهم درجات، ولم يجعل لعباده وصولاً إليه إلا من طريقهم، ولا دخولا إلى جنته إلا خلفهم، ولم يكرم أحداً منهم بكرامة إلا على أيديهم، فهم أقرب الخلق إليه وسيلة، وأرفعهم عنده درجة، وأحبهم إليه وأكرمهم عليه. وبالجملة فخير الدنيا والآخرة إنما ناله العباد علي أيديهم، وبهم عرف الله، وبهم عبد وأُطيع وبهم حصلت محابُّه تعالى فى الأرض"[٥].

تعريف العصمة:

يعود معنى العصمة لغة إلى الحفظ والمنع، عصم الله عبده من السوء: إذا منعه. يقول ابن فارس: "العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساكٍ ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله معنى واحد"[٦].

وهي في مفهوم أهل السنة والجماعة تتعلق بتبليغ رسالة الله تعالى، وكذلك يقولون بتعلقها بكبائر الذنوب دون صغائرها، ولا يقر الأنبياء على خطأ، بل يوفقون للتوبة والإنابة.

يقول شيخ الإسلام: "الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة"[٧].

ويقول أيضا: "فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام،كما ذكر " أبو الحسن الآمدي"[٨] أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول، ولم ينقل عنهم ما يوافق

(٢) منهاج السنة (٤١٧/٢).

(٣) ينظر: مادة (صفو)، ابن فارس، مقاييس اللغة (٢٩٢/٣).

(٤) جامع البيان (٥٣٩/٩).

(٥) طريق الهجرتين ص (٧٦٢).

(٦) مقاييس اللغة (٣٣١/٤).

(٧) مجموع الفتاوى (٢٨٩/١٠).

(٨) ينظر: أبكار الأفكار (١٤٦/٤).

القول...[٩]وإنما نقل ذلك القول في العصر المتقدم عن الرافضة، ثم عن بعض المعتزلة، ثم وافقهم عليه طائفة من المتأخرين"[١٠].

فهذا متعلق العصمة شرعا، ويمكن تعريفها اصطلاحا بما يلي:

"حفظ الله ظواهر الرسل وبواطنهم مما تستقبحه الفطر السليمة قبل النبوة، وحفظهم من الكبيرة وصغائر الخسة بعدها، وتوفيقهم للتوبة والاستغفار من الصغائر، وعدم إقرارهم عليها"[١١].

المبحث الأول:

المواضع في القرآن التي قد تدل على حال بعض الأنبياء قبل بعثتهم

الموضع الأول

قال جل ذكره:﴿ ۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ٨٨ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩ ﴾ الأعراف: ٨٨-٨٩.

قال السدي في تفسير الآية الثانية: "يقول: وما ينبغي لنا أن نعود في شرككم بعد إذ نجانا الله منها، إلا أن يشاء ربنا، فالله لا يشاء الشرك[١٢]، ولكن يقول: إلا أن يكون الله قد علم شيئا، فإنه وسع كل شيء علما"[١٣].

وقال ابن جرير في تفسير الآية الأولى: "يقول تعالى ذكره: {قال الملأ الذين استكبروا} يعني بالملأ: الجماعة من الرجال، ويعني بالذين استكبروا: الذين تكبروا عن الإيمان بالله والانتهاء إلى أمره واتباع رسوله شعيب لما حذرهم شعيب بأس الله على خلافهم أمر ربهم، وكفرهم به {لنخرجنك يا شعيب} ومن تبعك وصدقك وآمن بك، وبما جئت به معك من قريتنا. {أو لتعودن في ملتنا} يقول: لترجعن أنت وهم في ديننا وما نحن عليه. قال شعيب مجيبا لهم: {أولو كنا كارهين} ومعنى الكلام: أن شعيبا قال لقومه: أتخرجوننا من قريتكم، وتصدوننا عن سبيل الله، ولو كنا كارهين لذلك؟ ثم أدخلت ألف الاستفهام على واو {أولو}"[١٤].

وقد فسر الآية الثانية بقوله: " يقول جل ثناؤه: قال شعيب لقومه، إذ دعوه إلى العود إلى ملتهم والدخول فيها، وتوعدوه بطرده ومن اتبعه من قريتهم إن لم يفعل ذلك هو وهم: {قد افترينا على الله كذبا} يقول: قد اختلقنا على الله كذبا، وتخرصنا عليه من القول باطلا إن نحن عدنا في ملتكم، فرجعنا فيها بعد إذ أنقذنا الله منها، بأن بصرنا خطأها وصواب الهدى الذي نحن عليه، وما يكون لنا أن نرجع فيها فندين بها ونترك الحق الذي نحن عليه.

{إلا أن يشاء الله ربنا} إلا أن يكون سبق لنا في علم الله أنا نعود فيها، فيمضي فينا حينئذ قضاء الله، فينفذ مشيئته

---

(٩) هنا سقط في الأصل، وسياق الكلام يدل على المراد: أنه لم يُنقل عن السلف ما يدل على العصمة بإطلاق.

(١٠) مجموع الفتاوى (٣١٩/٤).

(١١) د.أحمد العبد اللطيف، عصمة الأنبياء بين المسلمين وأهل الكتاب (ص٢٤).

(١٢) الذين ينفون مشيئة الله تعالى للشرك والمعاصي هم القدرية، وقولهم باطل بإجماع سلف الأمة، فالذي عليه أهل السنة والجماعة أنه لا يقع شيء في ملك الله سبحانه إلا بمشيئته القدرية. ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٤٠٩/٤).

(١٣) ابن جرير، جامع البيان (٣١٩/١٠).

(١٤) جامع البيان (٣١٧/١٠).

علينا. {وسع ربنا كل شيء علما} يقول: فإن علم ربنا وسع كل شيء فأحاط به، فلا يخفى عليه شيء كان ولا شيء هو كائن، فإن يكن سبق لنا في علمه أنا نعود في ملتكم ولا يخفى عليه شيء كان ولا شيء هو كائن، فلابد من أن يكون ما قد سبق في علمه، وإلا فإنا غير عائدين في ملتكم"[١٥].

وما ذكره السدي وابن جرير هو حمل للآية على ظاهرها، ولم يذكروا تأويلا يخرج شعيبا عليه السلام من خطاب قومه.

ومن المفسرين من أخرج شعيبا عليه السلام من هذا الخطاب، ونصوا على عدم إمكانية دخوله في الخطاب؛ لأن الكفر لا يقع من الأنبياء، واختلفوا في تأويل الآية على عدة تأويلات:

١ – فمنهم من رأى أن قوله (أو لتعودن في ملتنا) إنما هو خطاب لمن آمن من قوم شعيب بعد كفرهم، ولكثرتهم غُلبوا في الخطاب، وإن كان شعيب عليه السلام غير داخل في هذا الخطاب[١٦].

٢ – ومنهم من رأى أن العود لا يشترط فيه الرجوع لحالة كانت سابقة، فـ (عاد) تأتي أيضا بمعنى: صار[١٧].

يقول ابن عطية: "وعاد: تجيء في كلام العرب على وجهين، أحدهما عاد الشيء إلى حال قد كان فيها قبل ذلك، وهي على هذه الجهة لا تتعدى فإن عديت فبحرف، ومنه قول الشاعر:

إن عادت العقرب عدنا لها ... وكانت النعل لها حاضرة[١٨] ...

والوجه الثاني: أن تكون بمعنى صار، وعاملة عملها ولا تتضمن أن الحال قد كانت متقدمة. ومن هذه قول الشاعر:

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شِيبَا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا[١٩]...

فقوله في الآية (أو لَتَعُودُنَّ) وشُعَيْبُ عليه السلام لم يكن قط كافرا يقتضي أنها بمعنى صار، وأما في جهة المؤمنين بعد كفرهم فيترتب المعنى الآخر ويخرج عنه «شعيب» إلا أن يريدوا عودته إلى حال سكوته قبل أن يبعث"[٢٠].

٣ – ومنهم من فسر العود في الآية بالدخول (أولتعودن) أي: لتدخلن[٢١].

وقد أضاف الرازي تأويلات أخرى للآية :[٢٢]

– أن خطاب قوم شعيب عليه السلام كان صادرا من رؤسائهم ليوهموا العوام بأن شعيبا كان على دينهم، فكان جوابه عليه السلام وفق هذا الإيهام.

– أن شعيبا عليه السلام كان يخفي دينه عن قومه، فتوهموا أنه على دينهم.

– أنهم كانوا على شريعة وكان شعيب عليه السلام معهم على تلك الشريعة، فنسخها الله تعالى بالوحي الجديد الذي أوحاه إليه.

---

(١٥) جامع البيان (٣١٨/١٠).

(١٦) ينظر: البغوي، معالم التنزيل (٣/ ٢٥٨)، الزمخشري، الكشاف (١٢٩/٢)، ابن الجوزي، زاد المسير (٢٣٠/٣)، الرازي، مفاتيح الغيب (٣١٦/١٤)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣٥٠/٦).

(١٧) ينظر: البغوي، معالم التنزيل (٣/ ٢٥٨)، ابن عطية، المحرر الوجيز (٦١٣/٣)، ابن الجوزي، زاد المسير (٢٣١/٣)، الرازي، مفاتيح الغيب (٣١٦/١٤)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٠/٧).

(١٨) البيت للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب.(ينظر:الحيوان للجاحظ٣٦٦/٤، عيون الأخبار لابن قتيبة ٣٦٦/١).

(١٩) البيت لأبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي. (ينظر: طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ٥٨/١).

(٢٠) المحرر الوجيز (٦١٣/٣) باختصار .

(٢١) البغوي، معالم التنزيل (٢٥٨/٣).

(٢٢) مفاتيح الغيب (٣١٦/١٤).

وقد أوّل قوله (بعد إذ نجانا الله منها) بعدة تأويلات:

- أن معنى ذلك أن الله علمهم قبحه، وفساده، ونصب الأدلة على ذلك.
- أن المراد قومه، أي نجاهم الله تعالى من تلك الملة.
- أن الخطاب من باب التنزل، أي نجانا منها حسب معتقدكم وزعمكم.

فهذان اتجاهان للمفسرين في تفسيرهم هذه الآية، منهم من أجراها على ظاهرها كالسدي وابن جرير، ومنهم من أولها ليُخرج شعيبا عليه السلام من الخطاب.

والذين أولوها كانت منطلقاتهم مختلفة، فمنهم المعتزلي كالزمخشري، ومنه الأشعري كالرازي، ومنهم السلفي كابن كثير. وسيأتي بيان أقوال الطوائف في هذه المسألة بإذن الله تعالى.

الموضع الثاني

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣ ﴾ إبراهيم:١٣.

هذه الآية قريبة من آية شعيب عليه السلام السابقة، إلا أن الخطاب وجه فيها من الكفار لرسلهم فقط، دون من آمن معهم؛ ولذا عدّ شيخ الإسلام أن تأويل آية شعيب عليه السلام بأن المراد قومه، لايستقيم هنا في هذه الآية[٢٣].

قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: "يقول عز ذكره: وقال الذين كفروا بالله لرسلهم الذين أرسلوا إليهم حين دعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له وفراق عبادة الآلهة والأوثان: {لنخرجنكم من أرضنا} يعنون: من بلادنا، فنطردكم عنها {أو لتعودن في ملتنا} يعنون: إلا أن تعودوا في ديننا الذي نحن عليه من عبادة الأصنام، وأدخلت في قوله: {لتعودن} لام، وهو في معنى شرط، كأنه جواب لليمين. وإنما معنى الكلام: لنخرجنكم من أرضنا أو تعودن في ملتنا، ومعنى «أو» ههنا معنى «إلا» أو معنى «حتى» كما يقال في الكلام: لأضربنك أو تقر لي، فمن العرب من يجعل ما بعد «أو» في مثل هذا الموضع عطفا على ما قبله جزما جزموه، وإن كان نصبا نصبوه، وإن كان فيه لام جعلوا فيه لاما؛ إذ كانت «أو» حرف نسق ومنهم من ينصب «ما» بعد «أو» بكل حال؛ ليعلم بنصبه أنه عن الأول منقطع عما قبله، كما قال امرؤ القيس:

بَكى صَاحِبي لمّا رأى الدَّرْبَ دُونه
وأيقنَ أنا لاحِقَانِ بقَيْصَرَا
فَقُلتُ لَهُ: لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنّمَا
نحاوِلُ مُلْكاً أوْ نموتَ فَنُعْذَرَا[٢٤]

فنصب «نموت فنعذرا» وقد رفع «نحاول»؛ لأنه أراد معنى: إلا أن نموت، أو حتى نموت"[٢٥].

وهذا منه رحمه الله تفسير للآية بظاهرها، كما فسر آية شعيب عليه السلام المتقدمة، وقريب منه ما قاله البغوي في تفسير هذه الآية[٢٦]، وكأن البغوي اكتفى بتقريره المتقدم لآية شعيب عليه السلام، من عدم إمكان الكفر من الأنبياء قبل البعثة؛ ولذا لم يفصل القول هنا.

(٢٣) ينظر:ابن تيمية، تفسير آيات أشكلت (١٧١/١).

(٢٤) ديوان امرئ القيس ص ٩٦.

(٢٥) جامع البيان (٦١٢/١٣).

(٢٦) ينظر: معالم التنزيل (٣٣٩/٤).

وقد فسر الزمخشري هذه الآية بمثل تفسيره لآية شعيب عليه السلام، فرأى أن العود في الآية بمعنى الصيرورة، أو أن الخطاب كان للرسل ومن آمن بهم فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد[٢٧].

وقد رأى ابن عطية أن (أو) في الآية (أو لتعودن) إنما هي بمعنى (إلا أن) وضعف القول أنها بمعنى (حتى)، إلا أن المهم في كلامه هنا أنه رأى أن العود في هذه الآية لايكون إلا إلى حالة كانت سابقة، وبما أنه يرى أن الرسل ما كانوا قط على ملة الكفر، فقد فسر العود هنا بسكوت الرسل عن الكفار، وذلك عند الكفار كونٌ في ملتهم، قال: "وتحتمل (أو) في هذه الآية أن تكون على بابها لوقوع أحد الأمرين؛ لأنهم حملوا رسلهم على أحد الوجهين، ولا يحتمل بيت امرئ القيس ذلك؛ لأنه لم يحاول أن يموت فيعذر، فتخلصت بمعنى إلا أن؛ ولذلك نصب الفعل بعدها. وقالت فرقة هي بمعنى «حتى» في الآية، وهذا ضعيف، وإنما تترتب كذلك في قوله: لألزمنك أو تقضيني حقي، وفي قوله: لا يقوم زيد أو يقوم عمرو، وفي هذه المثُل كلها يحسن تقدير إلا أن.و«العودة» أبدا إنما هي إلى حالة قد كانت، والرسل ما كانوا قط في ملة الكفر، فإنما المعنى: لتعودن في سكوتكم عنا وكونكم أغفالا، وذلك عند الكفار كون في ملتهم"[٢٨].

أما الرازي فقد أول هذه الآية بمثل تأويله لآية شعيب عليه السلام، إلا أنه زاد بعض التأويلات هنا:[٢٩]

- أن الأنبياء لم يظهروا المخالفة في أول الأمر لأقوامهم، فظن أقوامهم أنهم على دينهم.
- أن هذا حكاية لكلام الكفار، ولايجب أن يكونوا صادقين في كل ما قالوه.
- أن العود هنا إنما هو إلى الحال التي كان عليها الرسل من عدم الإنكار على قومهم والسكوت عنهم.

وهذا التأويل الأخير إنما ذكره في هذه الآية ولم يذكره في آية شعيب عليه السلام؛ لأن الخطاب في هذه الآية إنما هو للرسل فقط دون أقوامهم، فاحتاج أن يذكر هذا التأويل هنا.

الموضع الثالث

قال الله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ ﴾ الأنعام: ٧٥ - ٧٩

قال ابن جرير في تفسيره: حدثني المثنى قال: ثنا أبو صالح قال: ثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: {وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين}: يعني به: الشمس والقمر والنجوم. {فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي} فعبده حتى غاب، فلما غاب قال: لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغا قال: هذا ربي، فعبده حتى غاب، فلما غاب قال: لئن لم يهدني ربي لأكونن

(٢٧) الزمخشري، الكشاف (٥٤٤/٢).
(٢٨) المحرر الوجيز (٢٣٢/٥).
(٢٩) ينظر: مفاتيح الغيب (٧٦/١٩).

من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال: هذا ربي، هذا أكبر فعبدها حتى غابت، فلما غابت قال: يا قوم، إني بريء مما تشركون"[٣٠].

وقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، قال حدثني أبي، ثنا أبو صالح به[٣١].

وأخرجه البيهقي في الاعتقاد[٣٢] قال : أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس، حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا عبدالله بن صالح به.

ومدار أثر ابن عباس رضي الله عنهما هذا على علي بن أبي طلحة، وقد قال الحافظ المزي أن روايته عن ابن عباس مرسلة بينهما مجاهد، وقال أبو حاتم عن دحيم : لم يسمع من ابن عباس في التفسير، وقال الإمام أحمد: علي بن أبي طلحة له أشياء منكرات، وهو من أهل حمص[٣٣].

وأبو صالح هو عبدالله بن صالح بن محمد الجهني المصري كاتب الليث، قال عنه ابن حجر: صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة[٣٤].

ومعاوية بن صالح بن حدير أبو عمرو قاضي الأندلس، قال عنه ابن حجر صدوق له أوهام[٣٥].

وروى ابن جرير[٣٦] قال: حدثني محمد بن حميد قال: ثنا سلمه بن الفضل قال: ثني محمد بن إسحاق: فيما ذكر لنا –والله أعلم – أن آزر كان من أهل كوثا ... فلما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلا إلى مغارة كانت قريبا منها، فولدت فيها إبراهيم، وأصلحت من شأنه ما يصنع مع المولود، ثم سدت عليه المغارة، ثم رجعت إلى بيتها، ثم كانت تطالعه في المغارة، فتنظر ما فعل، فتجده حيا يمص إبهامه، يزعمون، والله أعلم، أن الله جعل رزق إبراهيم فيها، وما يجيئه من مصه. وكان آزر فيما يزعمون سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل؟ فقالت: ولدت غلاما فمات، فصدقها فسكت عنها. وكان اليوم فيما يذكرون على إبراهيم في الشباب كالشهر، والشهر كالسنة، فلم يلبث إبراهيم في المغارة إلا خمسة عشر شهرا، حتى قال لأمه: أخرجيني أنظر، فأخرجته عشاء، فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض وقال: إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي، ما لي إله غيره، ثم نظر في السماء فرأى كوكبا قال: هذا ربي، ثم أتبعه ينظر إليه ببصره، حتى غاب، فلما أفل قال: لا أحب الآفلين، ثم طلع القمر فرآه بازغا قال: هذا ربي، ثم أتبعه بصره حتى غاب، فلما أفل قال: لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس، أعظم الشمس، ورأى شيئا هو أعظم نورا من كل شيء رآه قبل ذلك، فقال: هذا ربي، هذا أكبر، فلما أفلت قال: يا قوم، إني بريء مما تشركون، إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين. ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه، وبرئ من دين قومه، إلا أنه لم يبادئهم بذلك".

ولم يذكر ابن إسحاق من حدثه بذلك، قال الذهبي: "صدق القاضي أبو يوسف إذ يقول: من تتبع غريب

(٣٠) جامع البيان (٣٥٦/٩).
(٣١) تفسير القرآن العظيم (١٣٢٨/٤).
(٣٢) الاعتقاد إلى سبيل الهداية والرشاد ص (٢٦).
(٣٣) ينظر: تهذيب الكمال (٢٦٢/٥).
(٣٤) ابن حجر، تقريب التهذيب ص (٥١٥).
(٣٥) ابن حجر، تقريب التهذيب ص (٩٥٥).
(٣٦) جامع البيان (٣٥٦/٩).

الحديث كُذّب. وهذا من أكبر ذنوب ابن إسحاق، فإنه يكتب عن كل أحد ولايتورع سامحه الله"[٣٧].

قال ابن كثير: "والظاهر أن موعظته هذه في الكواكب لأهل حران فإنهم كان يعبدونها، وهذا يرد قول من زعم أنه قال هذا حين خرج من السرب لما كان صغيرا، كما ذكره ابن إسحاق وغيره، وهو مستند إلى أخبار إسرائيلية لا يوثق بها، ولا سيما إذا خالفت الحق"[٣٨].

وقد ضعف ابن عطية أن تكون هذه القصة حدثت في الغار؛ لقوله في آخرها {إني بريء مما تشركون} وهذه تقتضي محاجة مع قومه، وحاله في الغار لايناسب هذا، إلا أن يكون قالها بينه وبين نفسه فحكاه الله تعالى عنه، ولكن المخاطبة في الآية تضعف هذا، ولو قال إنه بريء من الإشراك لصح هذا التأويل[٣٩].

قال ابن جرير الطبري: "وأنكر قوم من غير أهل الرواية هذا القول الذي روي عن ابن عباس، وعمن روي عنه، من أن إبراهيم قال للكوكب أو للقمر: هذا ربي، وقالوا: غير جائز أن يكون لله نبي ابتعثه بالرسالة أتى عليه وقت من الأوقات وهو بالغ إلا وهو لله موحد وبه عارف، ومن كل ما يعبد من دونه بريء. قالوا: ولو جاز أن يكون قد أتى عليه بعض الأوقات وهو به كافر لم يجز أن يختصه بالرسالة؛ لأنه لا معنى فيه إلا وفي غيره من أهل الكفر به مثله، وليس بين الله وبين أحد من خلقه مناسبة فيحابيه باختصاصه بالكرامة. قالوا: وإنما أكرم من أكرم منهم لفضله في نفسه، فأثابه لاستحقاقه الثواب بما أثابه من الكرامة. وزعموا أن خبر الله عن قيل إبراهيم عند رؤيته الكوكب أو القمر أو الشمس: (هذا ربي) ، لم يكن لجهله بأن ذلك غير جائز أن يكون ربه، وإنما قال ذلك على وجه الإنكار منه أن يكون ذلك ربه، وعلى العيب لقومه في عبادتهم الأصنام؛ إذ كان الكوكب والقمر والشمس أضوأ وأحسن وأبهج من الأصنام، ولم تكن مع ذلك معبودة، وكانت آفلة زائلة غير دائمة، والأصنام التي دونها في الحسن، وأصغر منها في الجسم، أحق أن لا تكون معبودة، ولا آلهة. قالوا: وإنما قال ذلك لهم معارضة، كما يقول أحد المتناظرين لصاحبه معارضا له في قول باطل قال به بباطل من القول على وجه مطالبته إياه بالفرقان بين القولين الفاسدين عنده اللذين يصحح خصمه أحدهما ويدعي فساد الآخر"، ثم ذكر بعض تأويلات من أنكر رواية ابن عباس:

- كمن قال أن ذلك كان منه حال طفولته، ولايصح إذ ذاك كفر ولا إيمان.
- وقال آخرون أن هذا على وجه الإنكار والتوبيخ، أهذا ربي؟ أي : ليس هذا ربي.

ثم قال: "وفي خبر الله تعالى عن قيل إبراهيم حين أفل القمر: {لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين} الدليل على خطأ هذه الأقوال التي قالها هؤلاء القوم. وأن الصواب من القول في ذلك: الإقرار بخبر الله تعالى الذي أخبر به عنه، والإعراض عما عداه"[٤٠].

وأطلق البغوي الخلاف في معنى الآية ولم يرجح، ولعله اكتفى بتقريره في آية شعيب كما تقدم،قال في قوله {هذا ربي}: "واختلفوا في قوله ذلك: فأجراه بعضهم على الظاهر، وقالوا: كان إبراهيم عليه السلام مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله تعالى وآتاه رشده فلم يضره ذلك

(٣٧) سير أعلام النبلاء (٥٠/٧).

(٣٨) البداية والنهاية (٣٣١/١). وقد أحال التركي في تحقيقه لتفسير ابن جرير على كلام ابن كثير هذا.

(٣٩) ينظر: المحرر الوجيز (٤٠٢/٣).

(٤٠) جامع البيان (٣٥٩/٩-٣٦١) باختصار.

في حال الاستدلال، وأيضا كان ذلك في حال طفوليته قبل قيام الحجة عليه، فلم يكن كفرا.

وأنكر الآخرون هذا القول، وقالوا: لا يجوز أن يكون لله رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو لله موحد وبه عارف، ومن كل معبود سواه بريء وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل، وأخبر عنه فقال: "إذ جاء ربه بقلب سليم" وقال: "وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض"، أفتراه أراه الملكوت ليوقن فلما أيقن رأى كوكبا قال: هذا ربي معتقدا؟ فهذا ما لا يكون أبدا. ثم قالوا: فيه أربعة أوجه من التأويل"[٤١]، ثم ذكر هذه الأوجه:

الأول: أنه أراد أن يستدرج قومه بهذا، ويعرفهم خطأهم، وجهلهم في عبادتهم غير الله تعالى.

الثاني: أنه قال ذلك على وجه الاستفهام، وتقديره : أهذا ربي؟

الثالث: أنه قاله محتجا عليهم، يقول هذا ربي بزعمكم.

الرابع: أن الكلام في إضمار، وتقديره: يقولون هذا ربي[٤٢].

وقد مال الزمخشري للتأويل الأول، وأن إبراهيم عليه السلام إنما أراد أن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال الصحيح[٤٣].

وقد رجح ابن عطية التأويل الثاني، ورأى أنه قال ذلك على جهة التقرير لقومه، والتوبيخ حتى يقيم الحجة عليهم[٤٤].

وقد أطال الرازي الكلام في هذه الآية، وذكر اتفاق أكثر المحققين على فساد القول بأن قول إبراهيم عليه السلام على ظاهره، ورد ذلك من وجوه كثيرة منها:[٤٥]

الأول: أن القول بربوبية النجم كفر بلا خلاف، وهو غير جائز على الأنبياء بالإجماع.

الثاني: أن إبراهيم عليه السلام قد عرف ربه قبل هذه القصة، والدليل عليه ما قاله الله عنه قبل ذلك حينما قال لأبيه قال تعالى:﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ الأنعام: ٧٤

الثالث: أن هذه القصة حدثت بعد أن أراه الله تعالى ملكوت السماوات والأرض، حتى إنه رأى مَن فوق العرش والكرسي، وما تحتهما إلى ماتحت الثرى، ومن كان مقامه في الدين هكذا فكيف يليق به أن يعتقد إلهية الكواكب؟

الرابع: أن دلائل حدوث الأفلاك ظاهرة من وجوه كثيرة، فكيف يليق بأقل العقلاء أن يقول بربوبيتها؟ فضلا عن أعقل العقلاء وأعلم العلماء.

الخامس: أن الله تعالى وصف إبراهيم بقوله: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ الصافات: ٨٤ وأقل مراتب القلب السليم أن يكون سليما من الكفر.

السادس: أن هذه القصة حدثت حال مناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه، بدليل قوله تعالى في هذه القصة: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ الأنعام:

---

(٤١) معالم التنزيل (١٦١/٣).

(٤٢) هذا ما رجحه الزجاج والقرطبي. ينظر: الزجاج، معاني القرآن (٢٦٧/٢)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٦/٧).

(٤٣) الكشاف (٣٩/٢).

(٤٤) ينظر: المحرر الوجيز (٤٠٣/٣).

(٤٥) ينظر: مفاتيح الغيب (٣٩/١٣).

٨٣، فعلم أن ذلك إنما جرى مع قومه لإرشادهم للتوحيد والإيمان.

ولذا فقد رأى الرازي أنه ثبت بالدلائل السابقة وغيرها أن إبراهيم عليه السلام لم يقل ذلك على سبيل الجزم، وإن كان ذلك كذلك فالأمر عنده راجع إلى احتمالين:

الأول: أن يكون قال ذلك بعد بلوغه، وليس الغرض منه إثبات ربوبية الكواكب، بل يراد منه أحد أمور سبعة:

١ – أن قوله عليه السلام لم يكن على سبيل الإخبار، بل الغرض منه إيراده حسب اعتقادهم، ثم إبطاله لأنه كان يناظرهم.

٢ – أن يكون معناه : هذا ربي في زعمكم و اعتقادكم.

٣ – أن يكون المراد منه الاستفهام على سبيل الإنكار.

٤ – أن يكون الكلام مضمرا فيه القول، وتقديره: قال يقولون هذا ربي.

٥ – أن يكون قاله مستهزئاً،كما يقال لذليلٍ ساد قوما: هذا سيدكم.

٦ – أن يقال إنه عليه السلام كان قد عرف بعدهم عن قبول الحق، وتقليدهم لأسلافهم فأراد أن يذكر الحجة على إبطال ما كانوا عليه، فقدم كلاما كأنه يقول بربوبية ما يقولون؛ حتى يتمكن بعد ذلك من رد باطلهم.

٧ – أن قومه دعوه إلى عبادة النجوم، فكان أن ظهر النجم أثناء مناظرتهم، فقال هذا ربي أي: الذي تدعوني لعبادته، فانتظر زمنا حتى أفل، فبين بطلان عبادته.

أما الاحتمال الثاني: فرأى أن إبراهيم عليه السلام ذكر ذلك قبل البلوغ، قريبا منه، وذلك أنه خطر في باله قبل البلوغ إثبات الصانع، فتفكر، فرأى النجوم وقال ماقال، ثم إنه تعالى أكمل بلوغه أثناء البحث ! فقال على الفور: إني بريء مما تشركون. ووصف الرازي هذا الاحتمال بأنه لابأس به! إلا أنه مال للاحتمال الأول؛ لكثرة دلائله.

وقد أنكر ابن كثير أن تكون الآيات على ظاهرها، أي أن إبراهيم عليه السلام كان في مقام نظر، إلا أنه لم يعلل ذلك – كما لم يعلل به في آية شعيب عليه السلام – بكون الأنبياء لايجوز أن يأتي عليهم وقت وهم على غير التوحيد، منذ الولادة حتى الوفاة، بل رأى رحمه الله أن إبراهيم عليه السلام كان في هذا المقام مناظرا قومه، داعيا للتوحيد، ثم بين أن القرآن جاء بالثناء العاطر على إبراهيم عليه السلام في غير ما موضع، وبيان فضله، و أن من كان هذا حاله لا يصح أن يكون ناظرا في ذلك المقام، قال رحمه الله: "وكيف يجوز أن يكون إبراهيم ناظرا في هذا المقام. وهو الذي قال الله في حقه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٥١ - ٥٢، وقال تعالى:﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ النحل: ١٢٠ - ١٢٣، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ الأنعام: ١٦١، وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة»[٤٦]، وفي صحيح مسلم، عن عياض بن حماد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله إني خلقت عبادي حنفاء»[٤٧]، وقال الله في كتابه العزيز ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الروم: ٣٠، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٢، ومعناه على أحد القولين كقوله ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ كما سيأتي بيانه. فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة، فكيف يكون إبراهيم الخليل الذي جعله الله أمة قانتا لله حنيفا، ولم يك من المشركين، ناظرا في هذا المقام، بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة والسجية المستقيمة، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا شك ولا ريب"[٤٨].

وقد رأى الإمام الشنقيطي رحمه الله أن قوله (هذا ربي) في المواضع الثلاثة محتمل لأن يكون ظانا ذلك، ومحتمل أن يكون جازما بعدم ربوبية غير الله تعالى، إلا أنه ذكر أن القرآن قد أبطل الاحتمال الأول، وبين صحة الثاني، واستدل على بطلان الأول بقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ البقرة: ١٣٥، في عدة آيات، ونفي الكون هذا جاء بصيغة الماضي، فيستغرق جميع الزمن الماضي، ولذا ثبت أنه لم يتقدم عليه الشرك يوما ما.

وأما كونه جازما بعدم ربوبيتها، وأن الله هو الرب الوحيد " فقد دل عليه ترتيب قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٰٔفِلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ الأنعام: ٧٦

إلى آخره، «بالفاء» على قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ الأنعام: ٧٥، فدل على أنه قال ذلك موقنا مناظرا ومحاجا لهم، كما دل عليه قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ﴾ الأنعام: ٨٠

وقوله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ الأنعام: ٨٣، الآية، والعلم عند الله تعالى"[٤٩].

وقد يشكل على هذا التقرير قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ البقرة: ١٣١ ، فقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عن السدي في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾ الأنعام: ٨٧

(٤٦) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، حديث رقم ١٣٨٥، صحيح مسلم، كتاب القدر، حديث رقم ٢٦٥٨.

(٤٧) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم ٢٨٦٥.

(٤٨) تفسير القرآن العظيم (٩٨/٦).

(٤٩) الشنقيطي، أضواء البيان (٢٣٦/٢).

قال الله له: أسلم قال : أسلمت لرب العالمين"[٥٠].

قال ابن جرير في تفسيره لهذه الآية: "إذ قال له ربه: أخلص لي العبادة، واخضع لي بالطاعة... وأما معنى قوله: ﴿ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ البقرة: ١٣١

فإنه يعني تعالى ذكره: قال إبراهيم مجيبا لربه: خضعت بالطاعة، وأخلصت بالعبادة لمالك جميع الخلائق ومدبرها دون غيره. فإن قال قائل: قد علمت أنَّ "إذ" وقتٌ فما الذي وقت به، وما الذي صلته؟ قيل: هو صلة لقوله: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ البقرة: ١٣٠. وتأويل الكلام: ولقد اصطفيناه في الدنيا حين قال له ربه أسلم، قال: أسلمت لرب العالمين... فإن قال لنا قائل: وهل دعا الله إبراهيم إلى الإسلام؟ قيل له: نعم، قد دعاه إليه. فإن قال: وفي أي حال دعاه إليه؟ قيل: حين قال: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الأنعام: ٧٨ - ٧٩

وذلك هو الوقت الذي قال له ربه أسلم من بعد ما امتحنه بالكواكب والقمر والشمس"[٥١].

وقد رأى ابن كثير رحمه الله أن إبراهيم عليه السلام قد أجاب أمر الله تعالى له بالإسلام شرعا وقدرا[٥٢].

ومن الآيات التي لها صلة بإبراهيم عليه السلام قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ العنكبوت: ٢٦، فلوط من قوم إبراهيم عليهما السلام، وقد آمن به كما هو نص الآية، قال ابن جرير: "فصدق إبراهيمَ خليلَ الله لوطٌ"، وقد نقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، وابن جرير، والضحاك[٥٣].

قال الرازي: "فآمن له لوط أي بعد ما رأى منه المعجز القاهر، ودرجة لوط كانت عالية، وبقاؤه إلى هذا الوقت مما ينقص من الدرجة ألا ترى أن أبا بكر لما قبل دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكان نير القلب قبله قبل الكل، من غير سماع تكلم الحصى ولا رؤية انشقاق القمر، فنقول إن لوطا لما رأى معجزته آمن برسالته، وأما بالوحدانية فآمن حيث سمع حسن مقالته، وإليه أشار بقوله: فآمن له لوط وما قال فآمن لوط"[٥٤].

وقد قرن شيخ الإسلام هذه الآية بآية شعيب عليه السلام المتقدمة، عند حديثه عن هذه المسألة[٥٥]، وسيأتي بيان مذهبه رحمه الله في هذه المسألة بإذن الله تعالى.

المبحث الثاني:

أقوال الفرق في عصمة الأنبياء من الكفر قبل بعثتهم

اختلفت الفرق في مسألة عصمة الأنبياء من الكفر قبل الرسالة على ما يلي:

(٥٠) تفسير القرآن العظيم (١٣٣٠/٤).
(٥١) جامع البيان (٥٨١/٢) باختصار.
(٥٢) تفسير القرآن العظيم (٩٩/٢).
(٥٣) جامع البيان (٣٨٣/١٨).
(٥٤) مفاتيح الغيب (٤٧/٢٥).
(٥٥) ينظر: منهاج السنة (٤٢٢/٢).

أولا: قول الخوارج:

جوز الأزارقة من الخوارج بعثة من علم الله تعالى أنه يكفر بعد نبوته، أو كان على الكفر قبل البعثة[٥٦].

وقد عزا الرازي للفضيلية من الخوارج تجويزهم الكفر على الأنبياء عليهم السلام، وبيّن مدركهم في هذا التجويز فقال: "وذلك لأن عندهم يجوز صدور الذنب عنهم وكل ذنب فهو كفر عندهم، فبهذا الطريق جوزوا صدور الكفر عنهم"[٥٧].

وذهب الإباضية إلى منع ذلك، قال السالمي: "اعلم أن الأمة اتفقوا على عصمة الأنبياء من ارتكاب الشرك عمدا"[٥٨].

وقال أحمد الخليلي: "فما كان لرسل الله سبحانه وتعالى وهم الذين صنعهم الله تعالى على عينه، وطهرهم بسره، وأعدهم لأن يكونوا وعاء لكلماته التي يؤدونها إلى خلقة، وحملة لأمانته التي يبلغونها إلى عباده، ما كان لهم أن يشركوا بالله تعالى شيئا، في أي وقت من الأوقات"[٥٩].

ثانيا: قول المعتزلة:

يقول القاضي عبد الجبار: "الرسول لا بد من أن يكون منزها عن المنفرات جملة، كبيرة أو صغيرة؛ لأن الغرض بالبعثة ليس إلا لطف العباد ومصالحهم... فقد ثبت أنه لا يجوز على الأنبياء الكبيرة، لا قبل البعثة، ولا بعدها"[٦٠]. ويدخل في الكبيرة الكفر بالله تعالى، قال أبو الحسن الأشعري: "وأجمعت المعتزلة على أنه لا يجوز أن يبعث الله نبيا يكفر ويرتكب كبيرة، ولا يجوز أن يبعث نبيا كان كافرا أو فاسقا"[٦١].

وقد ذكر الآمدي أن كثيرا من المعتزلة ذهبوا إلى أن العقل لا يمنع من إرسال من أسلم بعد كفره، وأكثرهم على منع ذلك[٦٢]. وهذا يشبه أن يكون قولا آخر لهم، إلا أن التجويز العقلي غير لازم الوقوع.

ثالثا: قول الرافضة:

قال المجلسي: "إن أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمدا وخطأ ونسيانا قبل النبوة والإمامة وبعدهما، بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله سبحانه"[٦٣].

وقد استثنى المفيد الصغائر التي لايستخف فاعلها، وعزا ذلك لجمهور الإمامية، قال: "إن جميع أنبياء الله – صلوات الله عليهم – معصومون من الكبائر قبل النبوة وبعدها، وما يستخف فاعله من الصغائر كلها، وأما ما كان من صغير لا يستخف فاعله فجائز وقوعه منهم قبل النبوة، وعلى غير تعمد، وممتنع منهم بعدها على كل حال، وهذا مذهب جمهور الإمامية"[٦٤].

رابعا: قول الأشاعرة:

قال الباقلاني: "لا يمتنع عقلا ولا سمعا أن يصدر من النبي قبل نبوته معصية، وسواء كانت صغيرة أو كبيرة؛ إذ لا دلالة للمعجزة على عصمته قبل ظهورها على يده، بل ولا يمتنع عقلا إرسال من أسلم بعد كفره"[٦٥].

---

(٥٦) ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل (٢١٠/١).

(٥٧) عصمة الأنبياء ص (٣٩).

(٥٨) مشارق أنوار العقول ص (٢٩٦).

(٥٩) الآيات المتشابهة في القرآن الكريم ص (٨).

(٦٠) شرح الأصول الخمسة ص (٣٨٧).

(٦١) مقالات الإسلاميين ص (٢٢٦).

(٦٢) أبكار الأفكار (١٤٣/٤).

(٦٣) بحار الأنوار (١٠٨/١٧).

(٦٤) أوائل المقالات ص (٦٢).

(٦٥) نقلا عن الآمدي، أبكار الأفكار (١٤٣/٤).

قال الآمدي بعد نقله كلام الباقلاني: "ووافقه عليه أكثر أصحابنا، و كثير من المعتزلة" ثم رجح ما قاله الباقلاني، فقال: "والأصح ما ذكره القاضي لأن السمع لا دلالة له على العصمة قبل البعثة، ودلالة العقل فمبنية على الحسن والقبح ووجوب رعاية المصلحة، وقد سبق إبطاله"(٦٦).

أما الرازي فقد قال: "واجتمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدع"(٦٧)، وهذا قد يكون مخالفا لما قرره أكثر الأشاعرة كما نقله الآمدي، إلا أن يكون تعلق كلام الرازي بالوجود الخارجي، وكلام الباقلاني بالجواز العقلي، فلا مخالفة حيئنذ. أو يكون مراد الرازي بعصمتهم بعد إرسالهم، ولكن يدفعه تقريره المتقدم في شرح الآيات، من منع تلبس أي نبي بكفر قبل البعثة.

والمقتضي لما ذهب إليه أكثر الأشاعرة هنا، هو مذهبهم في نفي الحِكَم عن أفعال الله تعالى، وحصرهم مدلول المعجزة في صدق الرسل فيما يبلغونه، قال شيخ الإسلام: "ومما يبين الكلام في مسألة العصمة أن تعرف النبوة ولوازمها وشروطها، فإن الناس تكلموا في ذلك بحسب أصولهم في أفعال الله تعالى، إذ كان جعل الشخص نبيا رسولا من أفعال الله تعالى، فمن نفى الحكم والأسباب في أفعاله وجعلها معلقة بمحض المشيئة وجوز عليه فعل كل ممكن ولم ينزهه عن فعل من الأفعال – كما هو قول الجهم بن صفوان وكثير من الناس، كالأشعري ومن وافقه من أهل الكلام من أتباع مالك والشافعي وأحمد وغيرهم من مثبتة القدر – فهؤلاء يجوزون بعثة كل مكلف، والنبوة عندهم مجرد إعلامه بما أوحاه إليه، والرسالة مجرد أمره بتبليغ ما أوحاه إليه، وليست النبوة عندهم صفة ثبوتية ولا مستلزمة لصفة يختص بها، بل هي من الصفات الإضافية كما يقولون مثل ذلك في الأحكام الشرعية"(٦٨). ولذا يقول الجويني عن عصمة الأنبياء :" تجب عصمتهم عما يناقض مدلول المعجزة وهذا مما نعلمه عقلا، ومدلول المعجزة صدقهم فيما يبلغون، فإن قيل: هل تجب عصمتهم عن المعاصي؟ قلنا: أما الفواحش المؤذنة بالسقوط، وقلة الديانة، فتجب عصمة الأنبياء عنها إجماعا. ولا يشهد لذلك العقل، وإنما يشهد العقل لوجوب العصمة عما يناقض مدلول المعجزة"(٦٩).

هذه أقوال الطوائف في هذه المسألة، أما أهل السنة فقد اختلفوا في هذه المسألة على قولين:

الأول: قول من ذهب إلى المنع، وأنه لايجوز أن يكون النبي متلبسا بالكفر قبل الرسالة، قال شيخ الإسلام: "وكثير من أهل السنة يقولون إن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة كما قال ذلك ابن الأنباري، والزجاج، وابن عطية، وابن الجوزي، والبغوي"(٧٠)، وقال: "والمقصود: أن هذا النزاع في وقوع الذنوب منهم قبل النبوة ليس هو قول المعتزلة فقط، بل هو بين أصحاب الحديث وأهل السنة"(٧١).

الثاني: قول من ذهب إلى جواز ذلك بل وقوعه، وهذا يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو اختيار ابن جرير الطبري كما تقدم، ونصره شيخ الإسلام ابن

(٦٦) أبكار الأفكار (١٤٣/٤).

(٦٧) عصمة الأنبياء ص (٣٩). ومورد هذا الإجماع متعلق بما بعد بعثة الأنبياء عليهم السلام، أما قبل ذلك فقد تقدم ذكر الخلاف فيه.

(٦٨) منهاج السنة (٤١٣/٢).

(٦٩) الإرشاد ص (٣٥٦).

(٧٠) تفسير آيات أشكلت (١٨١/١).

(٧١) المرجع السابق (١٨٥/١).

تيمية[٧٢]، والشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن بن حسن[٧٣].

وقد ناقش شيخ الإسلام أدلة المانعين التي من أبرزها أن صدور مثل هذا عن الأنبياء يوجب النفرة عنهم[٧٤]، ويوجب الاقتداء بهم في ذلك لأنا مأمورون باتباعهم، والاقتداء بهم في ذلك باطل[٧٥].

فبين رحمه الله أنه لا يوجب نفرة عن الرسل لأمرين:

الأول: أنه علم عن الرسل قبل بعثتهم التحلي بالصدق، والأمانة، ومكارم الأخلاق؛ ولذا لا يوجب ذلك تنفيرا عنهم، كحال الصحابة الذين آمنوا بالرسول عليه الصلاة والسلام بعد جاهليتهم،كأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكانوا محمودي السيرة في جاهليتهم، "ولهذا لم يذكر أحد من المشركين هذا قادحا في نبوتهم، ولو كانوا يرونهوا عيبا لعابوه ولقالوا: أنتم كنتم أيضا معنا على الحالة المذمومة، ولو ذكروا هذا للرسل قالوا: كنا كغيرنا لم نعرف ما أوحي به إلينا، بل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ * قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾ إبراهيم: ١٠، فقالت الرسل ﴿ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾ إبراهيم: ١١[٧٦].

الثاني: أن الذي يوجب النفرة هو تعمد الذنب، أوالإصرار والإكثار ونحو ذلك، أما "إذا اعترف الرجل الجليل القدر، بما هو عليه من الحاجة إلى توبته واستغفاره ومغفرة الله له ورحمته، دل ذلك على صدقه، وتواضعه، وعبوديته لله، وبعده عن الكبر والكذب، بخلاف من يقول: ما بي حاجة إلى شيء من هذا، ولا يصدر مني ما يحوجني إلى مغفرة الله لي وتوبته علي، ويصر على كل ما يقوله ويفعله بناء على أنه لا يصدر منه ما يرجع عنه، فإن مثل هذا إذا عرف من رجل نسبه الناس إلى الكذب والكفر والجهل"[٧٧].

ولهذا فإن الخوارج "من أشد الناس تعظيما للذنوب ونفورا عن أهلها، حتى إنهم يكفرون بالذنب ولا يحتملون لمقدمهم ذنبا، ومع هذا فكل مقدم لهم تاب عظموه وأطاعوه، ومن لم يتب عادوه فيما يظنونه ذنبا، وإن لم يكن ذنبا. فعلم أن التوبة والاستغفار لا توجب تنفيرا ولا تزيل وثوقا، بخلاف دعوى البراءة مما يتاب منه ويستغفر، ودعوى السلامة. مما يحوج الرجوع إلى الله واللجأ إليه، فإنه هو الذي ينفر القلوب ويزيل الثقة. فإن هذا لم يعلم أنه صدر إلا عن كذاب، أو جاهل، وأما الأول فإنه يصدر عن الصادقين العالمين "[٧٨].

أما التأسي بهم، فلا يكون تعلقه بالذنوب، بل تعلقه بتوبتهم منها ورجوعهم إلى الله تعالى، وحينئذ يكون التأسي بهم فيما أقروا عليه، لا فيما نهوا عنه؛ ولهذا فإن الله تعالى "لم يذكر عن نبي من الأنبياء ذنبا إلا ذكر معه توبته؛ لينزهه عن النقص والعيب، ويبين أنه ارتفعت منزلته وعظمت درجته وعظمت حسناته وقربه إليه بما أنعم الله عليه من التوبة والاستغفار والأعمال الصالحة التي فعلها بعد ذلك، وليكون ذلك أسوة لمن يتبع الأنبياء ويقتدي بهم إلى يوم القيامة"[٧٩].

---

(٧٢) المرجع السابق (١٦٠/١).

(٧٣) الدرر السنية (١٩٢/١٣).

(٧٤) ينظر: القاضي عبد الجبار، المغني (٣٠٠/١٥).

(٧٥) ينظر: الرازي، عصمة الأنبياء ص (٤٦).

(٧٦) تفسير آيات أشكلت (١٩٤/١).

(٧٧) ابن تيمية، منهاج السنة (٤٠٣،٤٠٧/٢).

(٧٨) ابن تيمية، منهاج السنة (٤٠٨/٢).

(٧٩) ابن تيمية، منهاج السنة (٤١١/٢).

وقد أطال شيخ الإسلام رحمه الله في الاستدلال لما ذهب اليه، ورأى أن اتفاق المسلمين على عصمة الأنبياء عليهم السلام فيما يبلغونه يحقق المقصود من النبوة[٨٠].

وقرر أن الله تعالى إنما يصطفي لرسالته من كان خيار قومه قال ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴿١٢٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٤ ، وقال قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ ﴾ الحج: ٧٥

واستدل بآية شعيب عليه السلام المتقدمة، ورأى أن معنى العود فيها المعروف هو ما أقره ابن عطية، من العود إلى حالة قد كانت[٨١]، وهو صريح في العود إلى أمر كان عليه الرسل وأتباعهم، ولا يحتمل العود فيها غير هذا[٨٢].

ورأى أن نفي أن يكون شعيب عليه السلام على دين قومه مفتقر لدليل سمعي، ولم يثبت في هذا شيء[٨٣]، وأما دلالة العقل ففيها نزاع بين الطوائف، وقد تقدمت الإشارة لذلك.

وفرق رحمه الله بين من يعمل الشيء وهو يعلم قبحه، ومن يعمله جاهلا قبحه، فلا يكون الثاني مذموما، ولايعاب على ذلك، ولا يكون فعله منفرا عنه، بخلاف الأول[٨٤].

ولهذا "من نشأ بين قوم مشركين جهال لم يكن عليه منهم نقص، ولا بغض، ولا غضاضة إذا كان على مثل دينهم، إذا كان عندهم معروفا بالصدق والأمانة، وفعل ما يعرفون وجوبه واجتناب ما يعرفون قبحه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء:١٥]، فلم يكن هؤلاء مستوجبين العذاب قبل الرسالة، وإن كان لا هو ولا هم يعلمون ما أرسل به "[٨٥].

والذي يظهر صحة ما ذهب إليه ابن جرير، وشيخ الإسلام رحمهما الله تعالى[٨٦]، وذلك لما يلي:

أولا: ثبوت ما يدل على ذلك، كما في آية شعيب عليه السلام وغيرها، وليس ثمة دليل صحيح يوجب صرف دلالة الآية عن ظاهرها.

ثانيا: نفي كون نبي من الأنبياء على دين قومه قبل إرساله يفتقر إلى دليل سمعي، وليس مع من نفى ذلك بإطلاقٍ أيُّ دليل. وأما دلالة العقل ففيها نزاع ،كما تقدم.

ثالثا: لا يتعارض هذا القول مع عصمتهم عليهم السلام بعد بعثتهم، وليس فيه ما يوجب نفرة عنهم، ومما يدل عليه أنه لا تلازم بين الكفر وبين الكذب والفواحش وسوء الأخلاق، فيوجد من الكفار من هو معروف بالصدق، ومكارم الأخلاق، والشواهد عليه كثيرة، والذي يوجب النفرة هو الكذب والفواحش وسيء الأخلاق. والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث:

حال نبينا صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

اختلف أهل العلم في حال نبينا عليه الصلاة والسلام قبل البعثة على قولين:[٨٧]

(٨٠) ابن تيمية، منهاج السنة (٣٩٦/٢).

(٨١) ينظر: تفسير آيات أشكلت (١٦٨/١).

(٨٢) ينظر: تفسير آيات أشكلت (١٧٥/١).

(٨٣) ينظر: تفسير آيات أشكلت (١٧٨/١).

(٨٤) ينظر: تفسير آيات أشكلت (١٩٣/١).

(٨٥) ينظر: تفسير آيات أشكلت (١٩٢/١).

(٨٦) فرَّق بعض الباحثين بين من نشأ من الأنبياء عليهم السلام بين قوم مشركين لم تسبق لهم دعوة، وبين من نشأ بين قوم مؤمنين لهم شريعة، وبُعث فيهم أنبياء، فالأول جائز أن يكون على دين قومه دون الآخر، ومستند هذا التفريق معرفة بعض أحوال من قص الله علينا نبأهم من أنبيائه عليهم السلام، وقياس غيرهم عليهم. (انظر: عصمة الأنبياء والرسل قبل النبوة، للدكتور ذياب العلوي ص٢٣٠، ضمن أبحاث مجلة الدراسات العقدية العدد ٢٠). وهذا فرقٌ حسن إلا أن الجزم به يحتاج إلى خبر صحيح، لا سيما وأكثر الأنبياء عليهم السلام لم يقص الله تعالى لنا من أخبارهم.

الأول: قول من أنكر أن يكون النبي عليه الصلاة والسلام على دين قومه قبل البعثة، وهذا مروي عن الإمام أحمد رحمه الله، قال أبو بكر الخلال: "أخبرني عصمة بن عصام العكبري، قال: ثنا حنبل بن إسحاق، قال: قلت لأبي عبد الله: من زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه قبل أن يبعث؟ فقال: "هذا قول سوء، ينبغي لصاحب هذه المقالة تخذر[٨٨] كلامه، ولا يجالَس، قلت له: إن جارنا الناقد أبو العباس يقول هذه المقالة؟ فقال: قاتله الله، أي شيء أبقى إذا زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه وهم يعبدون الأصنام، وقال الله عز وجل: وبشر به عيسى، فقال: اسمه أحمد، قلت له: وزعم أن خديجة كانت على ذلك حين تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية، فقال: أما خديجة فلا أقول شيئا، قد كانت أول من آمن به من النساء، ثم ماذا يحدث الناس من الكلام، هؤلاء أصحاب الكلام، من أحب الكلام لم يفلح، سبحان الله، سبحان الله لهذا القول، واستعظم ذلك واحتج في ذلك بكلام لم أحفظه، وذكر أمه حيث ولدت رأت نورا، أفليس هذا عندما ولدت رأت هذا وقبل أن يبعث كان طاهرا مطهرا من الأوثان، أو ليس كان لا يأكل ما ذبح على النصب[٨٩]، ثم قال: احذروا أصحاب الكلام، لا يؤول أمرهم إلى خير"[٩٠].

الثاني: قول من قال أنه عليه الصلاة والسلام كان على دين قومه قبل البعثة، فقد أخرج البيهقي في دلائله قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر، عن عثمان بن أبي سليمان، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه جبير، قال: لقد رأيت رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وهو على دين قومه، وهو يقف على بعير له، بعرفات، من بين قومه، حتى يدفع معهم، توفيقا من الله، عز وجل له". قال البيهقي عقبه: "قلت: قوله: «على دين قومه» معناه: على ما كان قد بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل، في حجهم ومناكحهم وبيوعهم، دون الشرك، فإنه لم يشرك بالله قط. وفيما ذكرنا من بغضه اللات والعزى دليل على ذلك "[٩١].

وأخرج ابن جرير في تفسيره، قال: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن السدي: (ووجدك ضالا) قال: كان على أمر قومه أربعين عاما"[٩٢].

والحق أن الله تعالى قد عصم نبينا صلى الله عليه وسلم من الشرك قبل البعثة وبعدها، ويدل على ذلك ما يلي:

أولا: أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما عن جبير بن مطعم قال: أَضْلَلْتُ بَعِيرًا لِي، فَذَهَبْتُ أَطْلُبُهُ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفًا بِعَرَفَةَ، فَقُلْتُ: «هَذَا وَاللَّهِ مِنَ الحُمْسِ فَمَا شَأْنُهُ هَا هُنَا»[٩٣]. فهذه الواقعة كانت قبل البعثة، والشاهد منها أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خالف دين قومه (قريش) في الإفاضة من عرفات، فقد كانت قريش لا يجاوزون مزدلفة كيلا يخرجوا من الحرم؛ اعتقادا منهم أنهم أهل الله تعالى،

(٨٧) ينظر: ابن تيمية، تفسير آيات أشكلت (١٩٨/١).

(٨٨) كذا في المطبوع. ولعلها: "تَحَذُّرَ".

(٨٩) قال شيخ الإسلام :" ولعل أحمد قال: أليس كان لا يعبد الأصنام؟ فغلط الناقل عنه، فإن هذا جاء في الآثار أنه كان لا يعبد الأصنام. وأما كونه لا يأكل من ذبائحهم فهذا لا يعلم أنه جاء به أثر، وأحمد من أعلم الناس بالآثار، فكيف يطلق قولا عن المنقولات لم يرد به نقل؟". تفسير آيات أشكلت (١٩٩/١).

(٩٠) السنة (١٩٥/١).

(٩١) دلائل النبوة (٣٧/٢).

(٩٢) جامع البيان (٤٨٩/٢٤).

(٩٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، حديث رقم (١٦٦٤)، وصحيح مسلم، كتاب الحج، حديث رقم (١٢٢٠).

وأطلقوا على أنفسهم (الحمس)، والأحمس هو الشديد على دينه[٩٤]. فدل هذا على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخالفهم في مثل هذه المسألة المتعلقة بالحج، فضلا عما تعلق بتوحيد الله رب العالمين.

ثانيا: ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى بعض خواصه عن الشرك، ومحال أن يأتي ما كان ينهى عنه بأبي هو وأمي، فقد أخرج البيهقي في دلائله[٩٥] بسنده عن زيد بن حارثة قال: كَانَ صَنَمٌ مِنْ نُحَاسٍ يُقَالُ لَهُ: إِسَافٌ، أَوْ نَائِلَةُ، يَتَمَسَّحُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ إِذَا طَافُوا. فَطَافَ رسول الله، صلى الله عليه وآله وَسَلَّمَ، فَطُفْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا مَرَرْتُ مَسَحْتُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: لَا تَمَسَّهُ! فَقَالَ زَيْدٌ: فَطُفْتُ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَأَمَسَّنَّهُ حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَكُونُ، فَمَسَحْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ، أَلَمْ تُنْهَ؟. وقد حسن الحديث الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى[٩٦].

ثالثا: روى البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَحٍ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوَحْيُ، فَقُدِّمَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُفْرَةٌ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ، وَلاَ آكُلُ إِلَّا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ، وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا اللَّهُ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ المَاءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ؛ إِنْكَارًا لِذَلِكَ وَإِعْظَامًا لَهُ"[٩٧]. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حق زيد : "دخلت الجنة فرأيت لزيد ابن عمرو بن نفيل دوحتين"[٩٨].

فثبوت هذا لزيد، وهو لم يدرك بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، دال على ثبوته لنبينا من باب أولى؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد ثبت له من الفضل ما ليس لغيره، قال شيخ الإسلام: "لكن هذا الذي جرى له لا يجب أن يكون مثله لكل نبي، فإنه أفضل الأنبياء، وسيد ولد آدم، والله سبحانه إذا أهل عبده لأعلى المنازل والمراتب، رباه على قدر تلك المرتبة والمنزلة... فما عرف من حال نبينا وفضائله لا تناقض ما روي من أخبار غيره إذا كان دون ذلك"[٩٩].

ولا يشكل على هذا قوله تعالى:﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾ الضحى: ٧، قال ابن جرير: "ووجدك على غير الذي أنت عليه اليوم"[100].

قال الراغب في بيان معنى الضلال: "الضَّلَالُ: العدولُ عن الطّريق المستقيم، ويضادّه الهداية...ويقال الضَّلَالُ لكلّ عدولٍ عن المنهج، عمدا كان أو سهوا، يسيرا كان أو كثيرا...ولذلك نسب الضَّلَالُ إلى الأنبياء، وإلى الكفّار، وإن كان بين الضَّلَالَيْنِ بون بعيد، ألا ترى أنه قال في النّبي صلّى الله عليه وسلم: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى} أي: غير مهتد لما سيق إليك من النّبوّة. وقال في يعقوب: {إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ}...وقال عن موسى عليه السلام: {فَعَلْتُها إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ} تنبيه أنّ ذلك

(٩٤) ينظر: ابن حجر، فتح الباري (٦٥١/٣).

(٩٥) دلائل النبوة (٣٤/٢)، وفيه زيادة دالة على أن ذلك قبل البعثة، قال: «زَادَ فِيهِ غَيْرُهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بِإِسْنَادِهِ: قال زيد: فو الذي هُوَ أَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ مَا اسْتَلَمَ صَنَمًا حَتَّى أَكْرَمَهُ اللهُ بِالَّذِي أكرمه وأنزل عليه».

(٩٦) سير أعلام النبلاء، السيرة النبوية (٧٣/١).

(٩٧) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، حديث رقم (٣٨٢٦).

(٩٨) نقله ابن كثير في البداية والنهاية عن الباغندي، وقال: هذا إسناد جيد، وليس هو في شيء من الكتب. (٣٢٧/٣).

(٩٩) تفسير آيات أشكلت (٢٣٠/١). باختصار.

(١٠٠) جامع البيان (٤٨٩/٢٤).

منه سهو"[١٠١]. فتبين أن الضلال يأتي على عدة معان، كالخطأ والسهو وغير ذلك.

ومما يوضح الآية أن متعلق الهدى فيها أُطلق ولم يُعين، وإبقاؤه على إطلاقه يخالف ما ثبت بالأدلة الصحيحة، من إقراره عليه الصلاة والسلام بالله تعالى ربا، وعدم إشراكه به، والنهي عن الشرك، وعبادته تعالى بأنواع من العبادات كالحج، فيصح حينئذ تعلق الضلال في الآية بشيء غير توحيد الله تعالى، كتعلقه بالنبوة، أو بتفاصيل الإيمان والشرع.

ويقال مثل هذا في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ ﴾ الشورى: ٥٢، قال ابن كثير:" ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، أي: على التفصيل الذي شرع لك في القرآن "[١٠٢]. وقال الأمين الشنقيطي: "المراد بالإيمان: شرائع دين الإسلام"[١٠٣].

وأما ما أخرجه البيهقي بسنده عن جابر بن عبدالله قال: " كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، يَشْهَدُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ مَشَاهِدَهُمْ. قَالَ: فَسَمِعَ مَلَكَيْنِ خَلْفَهُ وَأَحَدُهُمَا يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بِنَا حَتَّى نَقُومَ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ. قَالَ: كَيْفَ نَقُومُ خَلْفَهُ، وَإِنَّمَا عَهْدُهُ بِاسْتِلَامِ الْأَصْنَامِ قُبَيْلُ؟ قَالَ: فَلَمْ يَعُدْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَشْهَدَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ مَشَاهِدَهُمْ"[١٠٤]، فقد أنكره غير واحد من الأئمة، قال ابن كثير: "أنكره غير واحد من الأئمة على عثمان بن أبي شيبة، حتى قال الإمام أحمد فيه: لم يكن أخوه يتلفظ بشيء من هذا"[١٠٥]. وقد قال البيهقي عقبه: "قال أبو القاسم: تفسير قول جابر: وإنما عهده باستلام الأصنام، يعني أنه شهد مع من استلم الأصنام، وذلك قبل أن يوحى إليه"[١٠٦].

الخاتمة

الحمد لله في الختام وأول الكلام، والصلاة والسلام على خير الأنام، أما بعد:

فقد توصلت من خلال هذا البحث لما يلي:

١. الله تعالى قد اصطفى لرسالاته أنبياءه ورسله، وقد فضلهم على خلقه، وأكرمهم ليكونوا دعاة إليه، ووسائط بينه وبين خلقه، فما أعظمها من مهمة، وما أشرفها من مكانة.
٢. مسألة عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكفر قبل الرسالة ليست من المسائل المجمع عليها، بل قد اختلف الناس فيها، وكذلك أهل السنة والجماعة.
٣. القول بأن بعض الأنبياء كان على ملة قومه قبل الرسالة، هو الذي يدل عليه ظاهر القرآن، ولا يعارض هذا عصمتهم بعد إرسالهم، وليس في ذلك تنفيرا عنهم.
٤. عصم الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام من الكفر والشرك، قبل الرسالة وبعدها، فقد هيأه لمكانة لا يدانيها أحد من الخلق.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على خير معلم.

(١٠١) المفردات في غريب القرآن ص (٥١٠).
(١٠٢) تفسير ابن كثير (٢٩٥/١٢).
(١٠٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (٣٦٩).
(١٠٤) دلائل النبوة (٣٥/٢).
(١٠٥) البداية والنهاية (٤٤٩/٣).
(١٠٦) دلائل النبوة (٣٦/٢).

فهرس المراجع

(١) أحمد العبد اللطيف، عصمة الأنبياء بين المسلمين وأهل الكتاب، بحث مقدم لنيل الماجستير من جامعة أم القرى سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م. نسخة الكترونية PDF.

(٢) ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد الرازي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط٣، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز ١٤١٩هـ.

(٣) الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط٤، ت: هلموت ريتر، دار فلاوس فرلاغ، برلين ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(٤) امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبده مان المصطاوي، دار المعرفة-بيروت، ط الثانية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٥) الآمدي، سيف الدين، أبكار الأفكار في أصول الدين، تحقيق أحمد المهدي، طبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

(٦) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، تفسير آيات أشكلت، ط٤. تحقيق: عبد العزيز الخليفة، دار الصميعي ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

(٧) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٨) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ط١، تحقيق: محمد رشاد سالم ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٩) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، ط١، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي-بيروت ١٤٢٢هـ.

(١٠) ابن حجر، أحمد بن علي، تقريب التهذيب، ط٢، تحقيق: أبي الأشبال الباكستاني، دار العاصمة ١٤٢٣هـ.

(١١) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط٣، دار السلام ودار الفيحاء ١٤٢٣هـ-٢٠٠٠م.

(١٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط١، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ.

(١٣) ابن عطية، عبد الحق الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط٢، تحقيق: عبد الله الأنصاري وآخرون، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(١٤) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التزيل في تفسير القرآن، ط٤، تحقيق: محمد النمر وآخرون، دار طيبة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(١٥) ابن فارس، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار عالم الكتب ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(١٦) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ.

(١٧) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، ط٤، دار عطاءات العلم – الرياض، دار ابن حزم – بيروت، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.

(١٨) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: د.عبد الله التركي، ط١، دار هجر ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(١٩) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ط١، تحقيق: مصطفى السيد محمد، وآخرون، دار عالم الكتب ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٢٠) البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط١، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ.

(٢١) الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٤هـ.

(٢٢) الجويني، عبد الملك بن عبد الله، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: د.محمد موسى، وعلي عبد الحميد، ط ٣، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

(٢٣) الخلال، أحمد بن محمد، السنة، ط٢، تحقيق: د.عطية الزهراني، دار الراية ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

(٢٤) الخليلي، أحمد حمد، الآيات المتشابهة في القرآن الكريم، مكتبة الاستقامة-مسقط، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٢٥) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، ط٢، مؤسسة الرسالة ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

(٢٦) الرازي، محمد بن عمر، عصمة الأنبياء، تقديم ومراجعة: محمد حجازى، ط١، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٢٧) الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، ط٣، دار إحياء التراث العربي-بيروت ١٤٢٠هـ.

(٢٨) الراغب، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ط١. تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، والدار الشامية- دمشق، وبيروت ١٤١٢هـ.

(٢٩) الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، ط١، تحقيق: عبد الجليل شلبي، دار الكتاب العربي-بيروت ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٣٠) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، دار الكتاب العربي-بيروت ١٤٠٧هـ.

(٣١) السالمي، عبد الله بن حميد، مشارق أنوار العقول، ط٢، تعليق أحمد الخليلي، تحقيق: عبد المنعم العاني، مكتبة الإستقامة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٣٢) الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف بكر أبو زيد، ط١، دار عالم الفوائد ١٤٢٦هـ.

(٣٣) الشنقيطي، محمد الأمين، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ط١، إشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد ١٤٢٦هـ.

(٣٤) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ط١، تحقيق: محمد بدران، أضواء السلف.

(٣٥) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د.عبد الله التركي، دار عالم الكتب، للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

(٣٦) عبد الجبار المعتزلي، عبدالجبار بن أحمد الهمذاني، شرح الأصول الخمسة، تعليق: أحمد بن الحسين، اعتنى به: سمير مصطفى رباب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣٧) عبد الجبار المعتزلي، عبدالجبار بن أحمد الهمذاني، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق: محمود محمد قاسم، مراجعة: د.إبراهيم مدكور، إشراف: د.طه حسين.

(٣٨) عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ط٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٣٩) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ط٢، تحقيق: أحمد أطفيش، دار الكتب المصرية-القاهرة ١٣٨٤هـ-١٠٦٤م.

(٤٠) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٤١) محمد بن سلاّم الجمحي، طبقات فحول الشعراء، مطبعة المدني ، جدة ١٩٨٧م.

(٤٢) المزي، جمال الدين أبو الحاج يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط٢، تحقيق: د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

(٤٣) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤٤) المفيد، محمد النعمان، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، اهتمام: مهدي محقق، مؤسسة مطالعات إسلامي – طهران ١٣٧٢هـ.